

الرقابة الذاتية في السنة النبوية

- يحتاج صاحب العمل إلى مراقبين دائمين للعاملين حتى يضمن قيامهم بالمهام الموكلة إليهم بالمواصفات المطلوبة مع الحفاظ على المواد والألات والأدوات، وإن غاب المراقب وجدها العمال فرصة لإتمام المطلوب خارج المواصفات المطلوبة وتكون النتيجة رداء المنتج وحوادث عديد من المشكلات فاحدة في الأنفس والأرواح والأموال.

ويعاني الإفساد والمعلون من السلوكيات الهابطة التي يأتي بها الابن والطلب في غياب الرقابة.

- ونحن نعانى مع العمال والخدم والمخالفات التي يحدثونها في غياب الرقابة ما ألجأ البعض إلى تركيب كاميرات تراقب سلوكهم الدائم، لذلك عمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) إلى تربية النشء على الرقابة الذاتية وتقوى الله تعالى في كل زمان ومكان، قال ابن عباس رضي الله عنه، كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف) (رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح).

- وعندما تجرّبني المسلم على مراقبة الله تعالى رقابة

ذاتية في السر والعلن، والصحة والمرض، والغنى والفقر، وفي بلده وبين من يعرفونه، وفي خارج بلاده وحيداً أو مع مجموعة من الناس أو في مكان مراقب بالكاميرات أو مكان بعيد عن الكاميرات وبهذه المراقبة يتحول سلوكه إلى الانضباط الذاتي بضوابط الشرع الحنيفي، وينتج يصيغ المسلم أسوة حسنة وقدوة طيبة وصورة مشرفة في كل زمان ومكان، ويصيح قرأنا يمضي على الأرض ومثلاً يحتذى، ويتقديت به، ويتمايز إلى سلوكه الفاتح المسلمة البرّة النقية، وسأل عنها مبدأ اختيار الشخصيات ذات الرقابة الذاتية، فقد رأى ابن مهاجر الأنصاري وقال له: (والله إنك تعلم أنه ما بيني وبينك رقابة إلا قرابة الإسلام، ولكن سمعتك أكثر



يقلم:

د. نظمي خليل أبو العطا

تلاوة القرآن، ورأيك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد، فرأيك تحسن الصلاة وأنت رجل من الأنصار، خذ هذا السيف وليتك حرسى) (أورده ابن الجوزي في سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله).

وقد فتح التجار المسلمون بلاد شرق آسيا كلها، وملكوا قلوب الناس بخلقهم الحسن ومراقبة الله تعالى الدائمة في كل زمان ومكان، وحفظهم الله وتطبيق شرع الله في المعاملات الإنسانية والتجارية.

- وقد بدأت معجزة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه بقصة جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأم عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فقد كان عمر ابن الخطاب يطوف بالليل يتفقد الرعية، وفي ليلة كان معه غلامه أسلم وقد استندا إلى جدار بيت فسمع عمر أعرابية من الداخل تخاطب ابنتها قائلة، يا بنيتي قد أصبحنا فقومي إلى اللين فأمنقيه بالماء (أي اخلطيه بالماء)، وادهي به إلى السوق، فقلت لها الابنة: أو ما علمت يا أمه بما كان من عزمة عمر أمير المؤمنين اليوم؟ قالت الأم: وماذا كان من عزمة أمير المؤمنين؟ قالت الفتاة: لقد أمر مناديه فنادى في الناس ألا يخلط اللين بالماء قالت الأم: قومي يا ابنتي فامدقي اللين بالماء، فإبك في موضع لا يراك فيه عمر، ولا منادي عمر، فردت البنت على أمها غاضبة: يا أمه والله ما كنت لأطيعه في المأ وأعصيه في الخلاء، وإن كان عمر لا يرى، فإن رب عمر يرى، والله ما كنت لأفعل وقد نهى الخليفة.

- سمع عمر بن الخطاب هذا الحوار الذي ملأ نفسه إعجاباً بهذه الفتاة المسلمة البرّة النقية، وسأل عنها فإذا هي جارية من هلال، فزوجها ابنه عاصماً، وتعضي الأيام وتتجب الأم لعاصم فتاة بترزوجها والد عمر بن عبدالعزيز فتتجب له عمر بن عبدالعزيز، وكانت زوجة

صالحة برة تقيه جمعت بين أخلاق أبيها وأنها. (سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ابن الجوزي مرجع سابق). وهكذا تفعل المراقبة الذاتية والتربية عليها فعملها في شخصية المسلم فتجعلها أتمونجاً يحذئ للمتقين والمصلحين ولشباب المسلمين وغير المسلمين.

- وعندما تؤكد تربية أجيالنا على المراقبة الذاتية في حياتهم فلم نجد من يغش في الاختبارات المدرسية والجامعية، أو يلفق النتائج في البحث العلمي، ويذر أن يغش المهندس في خلطة المباني وخاماته، ولن نجد من لا يخلص في العمل من دون رقابة أو كاميرات، وما المباني التي تسقط على رؤوس السكان إلا نتيجة لغياب الخوف من الله، وما نراه من الإنهيار في الطرق المعبدة حديثاً إلا نتيجة للغش وعدم مراقبة الله في إعداد الطرق.

- وما نراه من إعادة كتابة بيانات الصلاحية للمواد الغذائية والأدوية إلا نتيجة لغياب الخوف من الله والمراقبة الذاتية النابعة من التربية، تلك التربية التي منعت التبت من خلط اللين بالماء وتخويف أنها برمقاة لله لتألي.

إن القاعدة النبوية الشريفة في المراقبة الذاتية قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس خلق حسن) (رواه الترمذي وهو حسن صحيح).

- وهذا الهدي النبوي يعلم المسلم تقوى الله حيثما كان وذلك بفعل أمره واجتناب نواهيه سواء في العالنية أو السر. (نبأ الشخصية الإسلامية في السيرة النبوية، نظمي خليل أبو العطا موسى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة: مصر (ط ١) (ص ١٣٥) (١٣/٢٠١٢م).

التاريخي.. عمراً!

يقلم: عاطف الصبيحي

ما بين الدرة درة الحق ودمعة الرحمة التي تركت أثرها في وجهه، والاعتراف لعجون بالحق وهو على المنبر، والقسوة على الذات، واستعارته لثوب ابنه ليكمل ثوبه، وخطابه لبطنه عام الرماة حين كان يفرقع يتوسله الطعام فيرده بقسوة قاسماً عليه - والله لن تأتدم السمن حتى يخبض المسلمون في قنات الدولة، بولة ترامت أطرافها استهلكته - فأمره وليه، حتى أنه قال ربه أن يقبضه إليه رهبة وخيفة من عدم القيام بأعباء الدولة الأخذة بالتأاسع، فاستجاب له ربه، فرماه أبو لؤلؤة بطاعة نجلاء.

العابرة لا يولدون بالجملة، والزعماء كذلك إنهم كملح الطعام نادرون لكتهم مؤثرون وأثرهم وتأثيرهم يمتد إلى قرون وأبو حفص صنوح ساطع للزعم الفطري فهو ينتسب لقبيلة مهمتها السفارة بين القبائل، فشخصيته تختزن مهمة الزعامة منذ نعومة أظفاره، وتفرده بكثير من الصفات الجسمية والنفسية والفكرية، تلك الصفات المرغوبة لأي صاحب دعوة جديدة أن يظفر بتلك الشخصية إلى جانبها ما دعا رسول الله عليه السلام أن يبتهل لربه بأن يعز الإسلام بأحد العمريين، فكان ابن الخطاب اختياراً لهياً بلا شك.

بداية غير طبيعية مذهلة مثيرة للإعجاب استهل بها عمر إسلامه، فأبى ألا الظهور والإعلان عن إسلامه لأن مروهة أبت عليه أن يخشى أبا جهل وأبا سفيان ويُداري ابن المغيرة، فهدسهم بخبر انضمامه إلى دعوة الهاشمي محمد بن عبد الله، فكانت اللغة الحركية والنصرار الجسدي هي سيده الموقف بين عمر وبقية القوم، ولأن كبرياءه أصيلاً وليس طارناً رفض جوار خاله له ليوقف القتال بين الطرفين فرد عليه «بأن جوارك مردود عليك، وما هجرته وطريقته فيها إلا صدى لموفور الكرامة العامرة والمتمكنة من نفسه رضي الله عنه وأرضاه، أما الحديبية وقدقته السيطرة على نفسه لأن هناك شيئاً مس غضب الكرامة والكبرياء عنده، فثار وسأل وعصب واستنكر وتمرد، لأن التوريق العظماء عندما يُسبون في أخص خصائصهم فإنهم يعجزون عن مغالبة الحدة التي تظهر عليهم، حتى أوشك أن يُغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه هي باختصار طبائع العظماء، ومنهم صيغ العصر بصيغته الخاصة، ونثرها لتصنيع كثيرا من المستقبل معها، هكذا هم أصحاب الرؤى التي تستلف المستقبل وكانه حاضر وهؤلاء هم الذين أنكروا بالمعنى الحرفي والقاسي

لما أر عقربياً يفري فريه». قول المصطفى عليه السلام مصداقيته في سيرة ابن الخطاب حيث لا يكاد يخلو جانب من جوانب الحياة إلا وله رأي فيه، تتداوله ونستشهد به حتى يومنا هذا، والعقاد خرين من رصد تلك الجوانب المتفرقة ونظريته في هذا الجانب أو ذاك، فلا يملك المُصنّف إلا التوريق والإعجاب بملكات هذا الرجل الفكرية إعجاب لا تشوبه شائبة، ولعل من المناسب أن نورد قيس من أقوال فلاسفة الغرب ومتفقيه بهيذه القائمة التي عتم التاريخ أن يكررها، واشطنن ايرفند في كتابه «محمد وخلفاؤه» إن حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلاً ذا موهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو الذراع وضع أساس الدولة الإسلامية ونفغ رغايات محمد... وصاحب كتاب «أعظم عظماء التاريخ»، مايكل هارت يقول: «إن مآثر عمر مؤثرة حقا فقد كان شخصية رئيسية في انتشار الإسلام».

يقلم: عبد السلام محمد وحيد عمري

ومن الإنصاف أن نقول إن الوسيلة من خصائص الأمة المحمدية ومن مميزات الإسلام ومحاسنه والتاكيذ فإن الإسلام كله محاسن لأنه دين الله، إننا نجد الوسيلة في العبادات والمعاملات، في الأكل والشرب والمجلس...، في التفكير والتأمل في السلوك في كل شؤون الحياة. إن المسلم الحق هو الذي لا يحدد ولا يميل ولا يزيغ عن وسطية الإسلام واعتداله وعده، حتى وإن تعرض لضغوط أو ظلم، أو أي نوع من أنواع الإيذاء.. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْلَمُوا أَعْلَمُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨] والوسيلة من مميزات الأمة المحمدية حيث المنهج الذي لا يعرف الاضطراب ولا التفریط، بل يعرف الالتزام بما أمر الله والبعد عما نهى عنه، كذلك فإنها تشهد على الأمم يوم القيامة أن الأنبياء بلغوا قومهم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه فيقال لهم: هل

خاطرة

إنسان القرآن!!



عبدالرحمن علي البفلاح

aalbinfalah@gmail.com

حين نتتبع ورود لفظ «الإنسان» في القرآن الكريم نجد أن عديدا من السور قد تعرضت له في شتى أحواله، فنرى القرآن قد تعرض للإنسان السوي، والإنسان المكب على وجهه في سورة الملك، ونرى ذلك في سورة النساء، وهي تتحدث عن الإنسان الضعيف، ونجد ذلك أيضا في سورة الإسراء عند حديثنا عن الإنسان العجول، وأما الإنسان اليأس، فنجد أن سورة الإسراء قد جاءت على نكرة في الآية (٨٣)، وفي سورة الكهف جاء نكر الإنسان المجادل، وهذا أمر نكرته السورة لأن هناك جدالا بين نبي الله موسى (عليه الصلاة والسلام) وبين الرجل الصالح، فأشارت السورة إلى نبي الله موسى باعتباره الإنسان المجادل، والقائمة طويلة وليس هنا محل الاستفاضة فيها، وستكتفي بالتوقف عند مثالين اثنين هما: الإنسان السوي الذي يمضي سوياً على صراط مستقيم، والإنسان الذي يمضي مكباً على وجهه، وهما المثالان اللذان تكررتهما سورة الملك، وسوف نتكف على تفصيل ما أجملته هذه السورة، وذلك بالحديث وتدر آيات من سورة الإنسان التي تشرّف الإنسان حين صار عنواً عليها. يقول تعالى في سورة الملك: ○ أفئن يمضي مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمضي سوياً على صراط مستقيم○ الآية ٢٢.

الفرق واضح، بل صارح بين إنسان يمضي مكباً على وجهه لا يرى أبعد من أنفه، أو الأرض التي يمضي عليها، وهي محدودة بأفاق رؤيته التي لا تتعدى الجزء الذي يراه قريباً منه، والإنسان السوي القامة، المعتدل الهيئة الذي يمضي على صراط مستقيم.

لقد جمع هذا الإنسان السوي الاستقامة في القامة وفي الطريق، فهو وحده الموهل للهداية والتوفيق أما المقابل له، المكب على وجهه، والذي لا يدرك من الأفاق إلا ما هو تحت قدميه، فهذا إنسان أبعد ما يكون عن الهداية والتوفيق.

والسؤال: متى يكون الإنسان سوياً في قامته، مستقيماً في طريقه؟، يكون كذلك حين يجمع بين هداية الدلالة وهداية المعونة والتمكين، وهذا ما نجده في سورة الإنسان التي تحدثت عن الإنسان في مرحلة العدم ثم مرحلة الوجود ثم تحدثت عنه في ضلاله وهدايته، قال تعالى: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (١) إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبخلقه فجعلناه سميعاً بصيراً) (٢) إنا هدينا السبيل إما شاكرًا، وإما كفوراً(٣) سورة الإنسان.

هذه هي البداية، بداية الإنسان من العدم إلى الوجود، وأي وجود؟

إنه وجود الهداية الذين أحسنوا الاختيار، فاختاروا الهدى على الضلال، فجاهتهم الهدى التي تعالی من المعونة والتمكين حتى صاروا علامة مميزة، وأسوة حسنة للناس.

لقد صار هذا الإنسان باراً بمن حوله من المساكين واليتامى والأسرى، فيفتقر إلى الله تعالی يصلح الأعمال، فيقطع الطعام على حبه من هم في حاجة إليه، يقول تعالی تقريراً لهذه الحقيقة: (ويطعمون الطعام على حبه مسكناً ويتيمناً وأسيراً) (٨) إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منك جزاءً ولا شكوراً (٩) سورة الإنسان، ولا يعني هذا أنهم زاهدون في الشكر والجزاء، بل هم أحرص الناس على ذلك إلا أنهم لا يريدون الجزاء والشكر من الأدنى لهم، فهؤلاء لا يملكون شيئاً لأنهم معدومون، ولكن هذا الإنسان الذي بلغ في خلوص نيته وفي عمله الصالح والعرضة الأبرار يريد الجزاء الموفور من الله تعالی، وأن يتسلم خطاب مرتبة الأبرار يريد الجزاء الموفور من الله تعالی، وأن يتسلم خطاب الشكر من مولاة سبحانه وتعالى، وهذا هو ما يسعى إليه هذا الإنسان الذي أشر الآخرين بما يجب على نفسه، ويدل لهم ما هو في حاجة ماسة إليه، ولم يؤثرهم في نفسه بالطعام الرديء، بل أعطاهم وأطعمهم مما يجب، وهذا دليل على تمكن خلق الإنار في نفسه، وصديق في هذا الإنسان وأمثاله قول ربنا سبحانه: (والَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَلْبِهِمْ يُحَاسِبُونَ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا آتَوْا وَيُؤْتَونَ عَلَىٰ نَفْسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يوقْ شَحْنُ نَفْسِهِ فَاوْتَلَكَ هُمُ الْمَغْلُوبُونَ) الحشر:٩.

ولقد تحقق لهذا الإنسان البر ما سعى إليه، ويدل من أجله الفقراء والمساكين ما يجب، وقال عنه سبحانه: (إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعياًكم مشكوراً) الإنسان:٢٧.

إنها نهاية سعيدة، بل بداية سعيدة حياة هنيئة يجلبها الفخار، والزهو لأنه يحمل بيديه صكوك الملكية لجنة عرضها السماوات والأرض، وفوق هذا فقد تشرّف باستلام خطاب الشكر من مولاة سبحانه وتعالى.

(سلسلة قلوب مضيئة)

٣٩ - صيانة القلب للجوارح

إعداد: طارق مصباح

جوارح الإنسان من نعم الله عزوجل عليه، من: (الأذن، والعين، والأنف، واللسان، واليدين، والقدمين، والطن، والفرج)، فكان حقا على الإنسان أن يكون عابداً شاكرًا لله على تلك النعم، وغيرها مما أنعم الله بها عليه. قال تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). ومن أولى مراحل الشكر لله، أن يستخدم الإنسان تلك الجوارح فيما أمر الله تعالى، وإبعاها وحفظها عما نهى الله تعالى، وأن يحاسب الإنسان نفسه في حركات جوارحه، من حين تطلّع المسلم إلى أن تعيب، ومن غروبها إلى أن تغسل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إلا وإن في الجسد مُضْغَةٌ، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب). فسر الحديث الحافظ ابن رجب بقوله: «وفيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتباعه للشيئات بحسب صلاح حركة قلبه؛ فإذا كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الوعوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقُّل للشيئات حذراً من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها وتابعت على كل المعاصي والمنشآت بحسب اتباع هوى القلب، ولهذا يقال: «القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنود طاعون له، ينبعون في طاعته وتغيث أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك؛ وللحديث بقية».

حاجة الفرد والمجتمع إلى وسطية الإسلام (٣)

بلغتم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فلك قوله: ○ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكَ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٧٠﴾ البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه. والوسط: العدل، فتدعون، فتشروه له بالبالغ، ثم يشهد الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم. وشهادة الأمة المحمدية على سائر الأمم تأتي في إطار أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الرسل بلغوا رسالات ربهم إلى أقوامهم، ليس هذا فحسب، بل إن القرآن الكريم الذي أنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين يخبر أن الأنبياء والرسل بلغوا وأنذروا أقوامهم ومن مظاهر الوسيلة تحقيق التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة بين مطالب الروح والجسد والعمل للحياتين معا، قال الله تعالى (وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ أَوْفَىٰ وَتَوَقَّاهُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنسَ نَصِيبًا مِّنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَوَدَّعَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [المصنص: ٧٧] جاء في تفسير المنتخب لسبب من علمه الأثر «واجعل نصيباً مما أعطى لك الله من العنى والخير في سبيل الله والقيام للدار الآخرة، ولا تمنع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال في الدنيا، واحسن إلى عبد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته، ولا تنفس في الأرض متجاوزاً حدود